مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

فِي التَّسْلِيْمِ القُرْآنِيِّ:

البَلَاْغَةُ القُرْآنِيَّةُ، مِنَ البُعْدِ اللِّسَاْنِيِّ إِلَى البُعْدِ الكَوْنِيِّ
تَأْسِيْسٌ لِقِرَاْءَةٍ أُخْرَى فِيْ مَلَاْمِحِ الإِعْجَاْزِ فِيْ أَوَّلِيَّةِ خَلْقِ الأَرْضِ

عبَّاس أمير معارز عبود[1]

١-جامعة القادسية / كلِّيَّة التربية / قسم علوم القرآن، العراق؛
abbasameir@gmail.com
دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/١١/١٩	٢٠٢٣/١٢/١١	٢٠٢٣/١٢/٣١

DOI: 10.55568/t.v16i28.1-18

المجلــد (١٦) العــدد (٢٨)
جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ-كانون الأول٢٠٢٣م

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

للآيات التي تتحدَّثُ عن أصل نشأة الأرض وشكلها وحركاتها، تسلسلان وترتيبان، لكلٍّ منهما بلاغته، ولكلٍّ من البلاغتين شأنها في الإبانة عن جدّة الحقائق المستندة إلى المعرفة اللُّغويَّة القرآنية. وبناء على هذين التسلسلين، تبدو الإبانة عن خلق الأرض خاضعة لاعتبارين، الأوَّل منهما؛ لاعتبارات موضعية مكانية ضابطتها موضوعيَّة تتعلَّق بترتيب المصحف، وأخرى زمانيَّة ضابطتها تاريخية تطوّرية تتعلّق بترتيب نزول السور. وبلحاظ الاعتبار الثاني، وما يعضِّده نصّيًّا، وجيولوجيًّا، لنا أن نقول، إنَّ (طحو الأرض) الذي تتحدَّث عنه الآية السادسة من سورة الشمس، هو الضابطة البليغة التي تؤكِّد أنَّ (طحو الأرض) هو المظهر الأوَّل من مظاهر خلقها.

والبادي، ممَّا سبق، أنَّ بلاغة الأرض، بلحاظ ترتيب النزول، تشير إلى أنَّ فهْم (طحو الأرض) الذي تتحدَّث عنه الآية السادسة من سورة الشمس، يستجيب لنواميس التبدّل والتطوّر وتعاقب الأحوال والصفات على الأرض قرآنيًّا وجيولوجيًّا، وهي تتحرّك من بدء الخلق الأوَّل حتَّى منتهاه في ضمن سلسلة من الحلقات المتّصلة بعضها ببعض. ما يعني أنَّ آية (طحو الأرض)، إبانة عن أوّليَّة خلق الأرض، وليس الأمر كما ذهب إليه المفسّرون الذين توهّموا مرّتين، مرَّةً حينما جعلوا الإبانة عن أوَّلية خلق الأرض ممَّا تكفَّلت به الآية الثانية والعشرين من سورة البقرة، تلك التي تتحدَّث عن (دحو الأرض). ومرّةً حينما لم يفرّقوا بين (طحو) سورة الشمس، و (دحو) سورة البقرة.

الكلمات المفتاحيّة: البلاغة القرآنيَّة، الإعجاز في خلق الأرض، إبيستيمولوجيا البلاغة، جيولوجيا النصّ

Quranic Eloquence : From Linguistic Scope to Universe Scope (Threshold Reading on Miracle Features of Earth Creation)

`Abbas Ameer Ma`arz `Abud [1]

1 Al-Qadisiyah University / College of Education / Department of Qur'anic Sciences, Iraq;

abbasameir@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Professer

Received:	Accepted:	Published:
19/11/2023	11/12/2023	31/12/2023

DOI: 10.55568/t.v16i28.1-18

Volume (**16**) Jumada Alakhirah 1445 AH

Issue (**28**) December 2023

Abstract:

The verses that talk about the origin of the Earth, its shape, and its movements, have two sequences and arrangements, each of which has its own eloquence, and each of the two eloquences has its role in revealing the newness of the facts based on linguistic Quranic knowledge. The statement about the creation of the earth seems to be subject to two considerations : first ,there are spatial and spatial considerations governed by objective matters related to the arrangement of the Qur'an, and temporal considerations that are governed by historical and evolutionary considerations related to the order in which the surahs were revealed. Taking into account the second consideration and its textual and geological supports , flatness of the earth, the sixth verse of Surat Al-Shams speaks about, is the eloquent criterion that confirms that " the flatness of the earth"is the first manifestation of its creation.

It is clear from the abovementioned notion that the eloquence of the earth , its order , indicates that the understanding of " the flatness of the earth" the sixth verse of Surat Al-Shams speaks about, responds to the laws of change and development and the succession of conditions and attributes on the earth. Qur'anically and geologically, as it moves from the beginning of the first creation until its end. That the verse " the flattening of the earth" is an explanation of the initial creation of the earth . In the study there is an approach to the twenty-second verse of Surat Al-Baqarah mentioning "the flattening of the earth" as a way to have more acts of explication.

Keywords: Quranic rhetoric, miracle of earth creation , epistemology of rhetoric, geology of text

مقدِّمة البحث

إشكاليَّة البحث

يسعى البحث إلى وضع مفهوم (البلاغة القرآنيَّة) في ضمن سياق تأسيسيّ مفاهيميّ يرتكز على محدِّدَيْن رئيسين متعاضدَيْن، هما؛ (البعد اللسانيّ، والبعد الكونيّ). أمَّا المجال الذي ينتمي إليه ذانك المحدّدان فهو مجال فلسفة اللُّغة مرّةً، ومجال فلسفة العلم مرّة أخرى. وهذا يعني أنَّ مقصد تكوين قدر كبير من الاتِّساق والتماسك بين تلك المفاهيم ومعالجاتها يوجب على البحث أن يُعْنَى بتفسير أوّليَّة خلق الأرض، وقد انتظمت في ضمن الضابطة القرآنيَّة وكلِّيَّاتها المعرفيَّة والفلسفيَّة، من طريق الإجابة عن سؤال الخلق الفلسفيّ وما يتعلَّق به من محاولات النظر في الكيفيَّة التي انتظمت بمقتضاها أوَّليَّة خلق الأرض قرآنيًّا وجيولوجيًّا. وهو ما سيخلص بالبحث لاحقًا إلى تحرير مفهوم البلاغة القرآنيَّة من التصوّرات التي تقصر فهْم البلاغة على الانغلاق على قواعدها وإجراءاتها التقنيَّة اللُّغويَّة، ومن ثُمَّ تحرير المصطلح القرآنيّ وتنظيمه تاريخيًّا وموضوعيًّا بما يسهم في تبيان اتِّساقه وانضباطه وتكامله المعرفيّ.

وبمقتضى ما سبق، تصير مهمَّة إعادة الاعتبار للبعد المعرفيّ من أبعاد البلاغة القرآنيَّة، في ضمن مجاليها؛ اللفظيّ القرآنيّ والعلميّ الجيولوجيّ، ضرورة معرفيَّة تفضي إلى التوطئة لفهْم البلاغة القرآنيَّة فهمًا جديدًا يصلح أن يكون بوابة إبيستيمولوجيَّة ننفذ من مدخلها اللفظيّ إلى تخوم الإجابة عن سؤال الخلق.

تساؤل البحث الرئيس، والتساؤلات الفرعيَّة

يرتكز البحث على تساؤل رئيس مفاده؛ هل بإمكاننا أن نجعل من البلاغة القرآنيَّة في ضمن مجاليها؛ الفلسفيّ والجماليّ مدخلًا معرفيًّا، يمكّننا من امتلاك رؤية منهجيَّة قادرة على ردم الهوّة الكائنة بين بلاغة الكون وبلاغة القرآن؟ ويترتّب على هذا السؤال أسئلة أخرى، منها؛ هل بإمكاننا أن نتمثّل تلك المرجعيَّة البلاغيَّة، نظريًّا وإجرائيًّا، ونحن نجهد في إعادة الاعتبار للبعد المعرفيّ الإبستمولوجيّ من أبعاد تلك البلاغة؟ وما المداخل المعرفيَّة التي تحقّق لنا ذلك؟ وهل للبلاغة، بلحاظ (كيفيّاتها القرآنيَّة)، أن تؤسّس لقيمٍ علميَّة عليا، تسهِم

في تصويب مسارات عمليّاتنا الذهنيَّة تاريخيًّا وعلميًّا، وبما يمكّننا من مقاربة الحقيقة العلميَّة في الواقع الخارجي؟ وهل يحقّق البناء المعرفيّ المستند إلى الجمع بين البلاغتين؛ بلاغة القرآن وبلاغة الكون فهْمًا جديدًا لأوليَّة الخلق، مستندًا في ذلك إلى فلسفة اللُّغة وقُرآنيَّة بلاغتها؟ وما الذي يقدِّمه ذلك البناء من حقائق وإعمامات فلسفيَّة قادرة على تحسين الفهم، وترسيخ دعائم الفكر التأمُّليّ الذي يذهب إلى القول بوحدة الموجودات معرفيًّا؟

منهجيَّة البحث

يتّخذ البحث من طريق التحليل أداة، ليقارب بهدي منه، موضوعه مقاربة سيميائيَّة معرفيَّة، تؤمن باستقلاليَّة اللغة بِعَدِّها أصل المعنى ومفتاح الفهْم.

المحور الأوَّل: القرآن والكون؛ بلاغة واحدة أم بلاغتان

لاشكَّ أنَّ من أهمِّ مقوّمات الكلام البليغ امتلاكه جمالًا خارجيًّا يسرّ الناظرين والسامعين، ويثير فيهم مشاعر البهجة والسرور ويحقّق لهم اللَّذة السمعيَّة والبصريَّة، وهذه هي الجنبة الظاهرة من جنبَتَي الكلام البليغ. ولكنَّ ذلك الجمال لا ينهض اعتباطًا بل هو فعل مقصود يستند إلى جنبة خبيئة، تنهض على مبدأ حسن التقدير. ويرتكز على ثابت جماليّ مفاده؛ "أنَّ البَنّاء الحاذق لا يرمي الأساس إلَّا بقدر ما يُقدّر من البِناء عليه كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه"[١].

الجنبة الأولى من جنبَتَي البلاغة، هاهنا، واضحة، تكاد تكون من البديهيَّات. وهي موضع القصور المعرفيّ الذي ينوء به بعضهم حينما يجعل من هذه الجنبة المعيار الوحيد الذي يزن بموجبه بلاغة القرآن، فينتهي به الأمر إلى أن يرجّح نصًّا شعريًّا على نصّ قرآنيّ أو يزن النصَّ السماويَّ بميزان النصِّ البشريِّ. وذلك لأنَّ ذاك النصَّ البشريّ يثير لديه مشاعر السعادة والسرور، ويشعره بمقوّمات الجمال اللُّغويّ بإزاء نصٍّ قرآنيٍّ لا يثير فيه تلك المشاعر الحسِّيَّة، وهو يعرض لحكم تشريعيّ، على سبيل المثال. ولكنَّ أولئك غفلوا عن حقيقة تلك العلاقة الكائنة بين حسن التعبير وحسن التقدير، وأنَّ حسن التعبير مشروط بحسن التقدير، وبهما كليهما يكون حسن البيان، وبضبط العلاقة بينهما يكون حسن البيان. فالكلام صناعة ككل صناعة، ولها يقول أحد أرباب الصناعات وهو يجري مقاربة بين الكلام والنجارة؛

١ السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق. عبد الحميد هنداوي، ط١ (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)، ٣٩٨.

"خيرُ الكلام ما أحكمتَ نَجْرَ معناه بقدُوم التقدير، ونَشَرْتَه بمنشار التدبير، فصار باباً لبيت البيان، وعارِضةً لسَقفِ اللسان"[٢]. ومن هنا، يبدو أنَّ معيار البلاغة اللُّغويَّة، إذًا، ليس ما يظهر على السطح الحسِّيِّ من محسّنات بل هي حسن التقدير الكائن بين الكلمة والكلمة، وبين الكلمة والمعنى وبين معنى الشيء وعيانية الشيء في الواقع الخارجي. وكذلك الأمر حينما تصير البلاغة سمة الكون والكائنات.

لا شكَّ أنَّ صنعة الله بليغة، وهي في أقصى درجات البلاغة. وأنَّ محاولة العقل البشريّ تقمّص دور الصانع لا يمكنه من بلوغ مثابة الصنعة الإلهيَّة. الباري جلَّ شأنه يتحدَّث عن خلقه، من طريق القرآن الذي هو تبيان لذلك الخلق فيقول؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾(السجدة ٧) ، ويقول؛ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه ٥٠). و(أحسن خلقه) أي جعله حسنًا. والتساؤل القائم، الآن، هل يتعلّق الحسن بشِقّ الجمال من شِقّي البلاغة، ، أي جمال المنظر دائمًا؟ وهل يتجلّى شرط (الأحسنيَّة) فيما لو قيّدناه بحسن المنظر في مخلوقات من مثل الذباب أو الخنزير أو غيرها؟

يبدو أنَّ الحسن، هاهنا، ليس في جمال المنظر وإنَّما في جنبة التقدير، وفي تدبير شؤون هذه المخلوقات وتقديرها، بما يعمل على جعلها تصل إلى مقاصدها. فالبلاغة هي الوصول، وإيصال هذه المخلوقات إلى مقاصدها بأقصى درجات الإتقان والإحكام هي البلاغة. وبمقاربة معنى الوصول في البلاغة، نقول؛ إنَّ الذي يريد أن يصل مكانًا بعينه، يجهد في أن يصله مراعيًا جنبة حسن التقدير قبل مراعاة جنبة جمال التعبير. فهو يقدّر المسافة ويحسن أمر الآلة التي توصله إلى مقصده، ويتقن خطوات صعوده ونزوله في حِلّه وترحاله، ويدبّر ما يتزوّد به للسفر. وقد يتخلَّى الشيء عن جمال منظره ولكن لا يتخلَّى عن حسن تقديره وتدبيره. فالبلاغة العليا تكمن في حسن التقدير ابتداء، وإتقان إيصال الأشياء إلى مقاصدها، هذه البلاغة الحقّ. ثُمَّ لاحقًا تجيء القضية الثانية فيما إذا اقتضت الضرورة ولم تتعارض هذه الثانية مع الأولى، فإذا تعارض أمر مراعاة الجمال مع حسن التقدير، فلا يؤخذ بالأوَّل ويؤخذ بالثاني.

٢ القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق. علي محمد البجاوي، ط١ (دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٣)، ج١ / ١١٤.

ولعلّنا، هاهنا، بنا حاجة إلى أن نتخذ بُلْغَةً نستعين بها إلى مقاصدنا من هذا المبحث.، ولتكن (عصا موسى) بُلْغتَنا المعرفيَّة، بلحاظ تلك (الأحسنيَّة) التي نوّهت بها الآية الكريمة السابقة. ولنتذكر أنَّ الـ(العصا الموسويَّة) قد بلغت في تحقيق شرط البلاغة مراتب تفوق قدرة العقل المحدود على تصوّرها. وأنَّ بلاغتها تلك ليست كائنة في حسن المنظر، بل كائنة في قدرة العصا على التحوّل من حالة إلى حالة، ومن منظر إلى آخر، ومن مسمّى إلى مسمّى، ومن صفة إلى غيرها. ثُمَّ هي كائنة في قدرة هذه العصا على إيصال الآخرين إلى مقاصد تحوّلها، بعد تحوّلين سابقين، إلى (ثعبان مبين) ثُمَّ في قدرتها على تغيير قناعات المخاطبين بل النخبة الفائقة من المتلقّين، متمثّلين بـ(السحَرَة)، فجعلتهم مستعدّين إلى التضحية بقناعاتهم السابقة بل ومن مسمَّى الى مسمّى الإقدام على التضحية بأنفسهم لما تبيّن لهم من البلاغة الحقّة التي أبانت عنها العصا، وقد أُلْقِيَتْ ثُمَّ تحوّلت في ضمن صيرورة بلاغية وجودية حافلة بالتحوّل والتغير الجوهريين أو العضويين قبالة ما يمكن أن يطرأ من تحوّل عرضيّ ظاهريّ على بقيّة العِصِيَ. والمشكل في أولئك العرضيين الذين ينظرون إلى النصِّ القرآنيِّ نظرة مقزَّمةً ضيقةً أحادية الجانب، أنَّهم ينظرون إلى بلاغة تلك العصا وغيرها من موارد البلاغة القائمة على جدليَّة حسن التعبير وحسن التقدير، بنشاط عقليّ أقل، أو أنَّهم ينظرون بتحيّزات تلقٍّ مسبقة، وبتوجّهات مؤدلجة، وباستلاب معرفيّ يسوقهم زُمَرًا إلى تبنّي بعض الأفكار الحسِّيَّة المنتزعة، تبنيًّا عاطفيًّا يعينهم عليه ضعفٌ معرفيّ وعجز عن محاورة النصّ، لينتهي بهم المطاف إلى نتائج ليست ممَّا يليق، بلحاظ ما يدّعونه من صفة علميَّة ومكانة مبرَّزة.

ولكن هذه الرؤية التي تجهد في اقتراح مدخل معرفيّ يفيد من النمط المألوف في فهم البلاغة ويزيد عليه، بها حاجة إلى مزيد من اليقين بأنَّ فهْم السُّنَن التي تضبط العلامات الدالَّة على بلاغة القرآن الكريم وفهْم تلك التي تضبط العلامات الدالَّة على بلاغة الكون لابدَّ أن يغادرا عتبة الفصل بين البلاغتين إلى مثابة التوحيد بينهما، وبما يخلص بنا إلى نتيجة مفادها؛ أنَّ "ما نراه من كثرة وتعدّد في الموجودات الكونيَّة والطبيعيَّة، لا يعني تفاوتًا في الخلق والخالقيَّة؛ ﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾(الملك ٣) ، إنَّه تعدّد المظهريَّة،

وفرق كبير بين التعدّد والتفاوت. أمَّا كيف نرد ذلك التعدّد إلى الوحدة، فذلك بتجاوز تلك المظهريَّة بالقدر الذي يمكننا من الولوج إلى ما وراء المظهريَّة، وذلك لأنَّ ما وراء المظهريَّة، هو علّة المظهريَّة"[٣]. وبما يوازي عدم التفاوت في الخلق، من حيث هو ظاهرة تستند إلى حسن التقدير، وليس من حيث هو مظاهر، ثَمَّ عدم الاختلاف في القرآن من حيث هو نصّ لغويّ يستند هو الآخر إلى حسن التقدير الذي لا إمكان لبلوغ حقيقته إلّا من طريق التدبّر؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(النساء ٨٢).

المهمَّة الأساسيَّة التي تلزمنا بالنهوض بها، استنادًا إلى ما سبق، هي تأكيد العلاقة بين البلاغة اللُّغويَّة والبلاغة الكونيَّة، بلحاظ ما بين كلٍّ من البلاغتين من مشتركات بنيويَّة تتعلَّق بذلك الترابط الكائن بين اللغة والعالم، من حيث "إنَّ العالم في تطابق تامّ مع اللغة، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر"[٤]. فاللغة مجموع العلاقة بين حسن التعبير وحسن التقدير، والعالم كذلك، هو مجموع العلاقة بين حسن التعبير وحسن التقدير. وانطلاقًا من هذه الحقيقة لابد من إعادة النظر في حسن التعبير الذي تحقّقه العبارة بذاتها، وبين حسن التعبير الذي تحقّقه العبارة بلحاظ علاقتها بحسن التقدير، ومن ثُمَّ، لابدَّ من التمييز بين جمال العبارة مستقلَّة عن علاقتها بغيرها من العبارات، وجمالها بلحاظ قوَّة العلاقة بينها وبين غيرها من العبارات. يقول عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ) في هذا الشأن؛ "الكلام ثلاث منازل، لفظ استقلَّ بجماله، واستغنى بحسن، دون أن يكون للنظم حساب فيه، ونظم، اعتمد على ترتيب المعاني وتآخي الأفكار دون أن يسانده التأنّق في اللفظ، وكلام حوى الحسن من طرفيه، فجمع إلى جمال اللفظ وإشراق العبارة، تساوق المعنى وتلاحم الفكرة، وهذا الأخير هو الذي يبحث عنه ويطلب تفصيل فيه بين البلغاء، ومن جهته يكون الإعجاز"[٥].

المحور الثاني؛ سلالة النصّ بين بلاغة التأليف وبلاغة الترتيب

إنَّ الكلِّيَّة المعرفيَّة التي ننتزعها من الآية المباركة؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل ٨٩)، تؤكِّد أنَّ العلاقة بين القرآن والكون هي علاقة انعكاس وتداخل وليست علاقة

٣ أمير، عباس. حركية الإصلاح من النظام إلى الانتظام: رؤية قرآنية، ط١ (بيروت – لبنان: دار المحجة، ٢٠٠٧)، ٧٧_ ٧٨.
٤ سيدأحمد، مخلوف. اللغة والمعنى: مقاربات في فلسفة اللغة، ط١ (الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١٠)، ١٧٢.
٥ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تصحيح. محمد عبده، ط٢ (دار المنار، د.ت.)، ١٩٦_ ١٩٧.

تباين وتخارج. ما يعني أنَّ العلاقة بين تبيان خلق الأرض في القرآن الكريم وحقيقة خلق الأرض كما تبدو للنظر العلميّ هي الأخرى علاقة انعكاس وتداخل وليست علاقة تباين وتخارج. ولكن تتبع مواضع الإبانة عن ذلك الخلق في القرآن لا يعيننا كثيرًا على تكوين رؤية منسجمة مع تسلسل تلك الأطوار كما تبدو للرؤية العلميَّة في الواقع الجيولوجيّ للأرض. وهذا ما يدعونا إلى البحث عن مسارات أخرى تضبط لنا ذلك التسلسل المنطقيّ والتاريخيّ، وتمنحنا مزيدًا من التمييز بين الموجود القرآنيّ، وهو يتسلسل باعتباره جزءًا من مشهد قرآنيّ وبينه وهو يتسلسل باعتباره هو، أي باعتبار تأريخه الجيولوجيّ، ضمن المسارات اللُّغويَّة التي احتضنت الموجود في النصِّ، واحتفظت له بملامح ذات طابع زمنيّ، وبما يعمل على إعادة بناء فهمنا البلاغيّ لتاريخ ذلك الموجود. وهذا ما يدعونا إلى إعادة النظر في الفضاء النصِّيِّ الذي يشغله ذلك الموجود، وفي العلاقات التي تنشأ من صلته بغيره من الموجودات، سواء وهو يتسلسل بنيويًّا ضمن المشهد الموضوعيّ أم وهو يتسلسل خارج المشهد ضمن تسلسله العضويّ في النصِّ.

ويعني ما سبق أنَّ للموضوع الذي تشتمل عليه الآية ترتيبين؛ أوَّلهما على حسب ترتيب السور في المصحف، وثانيهما على حسب ترتيب نزول السور. ويعني هذان الترتيبان، أنَّ للموضع في ضمن الآية مناسبتين، مناسبة ترتيبية وفاقًا لتسلسل السوَر في المصحف وأخرى تنزيليَّة وفاقًا لتسلسل السور على حسب النزول، وقد "وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنَّها على حسب الوقائع المتفرِّقة، وفصل الخطاب أنَّها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا"[٦] [٧]. وهذا يعني أنَّ تسلسل الموجودات القرآنيَّة يخضع لاعتبارات موضعيَّة ضابطتها ترتيب المصحف، وأخرى ضابطتها ترتيب نزول السور، وأنَّ الموجود الواحد، بلحاظ ترتيب نزول السور، مستجيب لنواميس التبدّل والتطوّر التي تعني، ممَّا تعني، تعاقب الأحوال والصفات على الموجود وهو يتحرَّك من بدئه الأوَّل حتَّى منتهاه، في ضمن سلسلة من الحلقات المتّصلة بعضها ببعض.

٦ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، ج١/ ٦٣.
٧ السيوطي، جلال الدين. أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق. عبدالقادر أحمد عطا و مرزوق علي إبراهيم، د.ط. (دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ت.)، ٧.

والفارق بين هذه السلسلة وسلسلة تعاقب الموجود نفسه في ضمن ترتيب المصحف، هو أنَّ تسلسل المصحف يتحرَّك باستقامة وباتجاه واحد، أمَّا تسلسل النزول فترتيب سلسلة الموجود فيه ترتيب دائري، "والمقصود بالترتيب الدائري أن يكون كلُّ حدٍّ من حدود السلسلة متوقفًا على غيره، بحيث يكون الحد الأخير معلولًا لما قبله، وعلّة للحدّ الأوَّل نفسه، وهذا شبيه بترتيب وظائف الكائن الحيّ، فإنَّ كلَّ واحدة منها علّة ومعلول معًا"[٨]. بتعبير آخر، يمكننا القول إنَّ ترتيب النزول "يبين عن نموّ الموضوع الواحد نموًّا تكوينيًّا في ضمن الموضوعات الأخرى، بدءًا بأوَّل البيان عنه في السورة السابقة نزولًا، خلوصًا إلى استوائه واكتمال بيانه في السورة الأخيرة نزولًا"[٩].

وعلى هذا، فترتيب النزول، هو الترتيب الذي "يتتبّع مسار الإبانة عن الحقائق بلحاظ ابتدائها التكوينيّ من عالم الغيب والباطن والمعنويّ حتَّى انتهائها في عالم المادَّة والشهود والظاهر، وهو بعد ذلك، يبدأ من الوحدة العضويَّة للموضوعات في موضوع واحد، ثُمَّ يمتدّ ويتنامى طورًا بعد آخر ليبين عن تعدّد كيفيّات الإبانة عن موضوع واحد بعد سلْكِه ونظمه في موضوع يختلف عمّا ساوقه من موضوعات في موضع غير الموضع الأوَّل"[١٠]. وهذا يعني أن تتبع الموجود القرآنّي زمانيًّا يحقّق لنا فرصة أن نتتبع أطواره وهو يكشف عن جيولوجيّته القرآنيَّة ونموّه العضويّ والبنيويّ وهو يطوّر حدوثه وحداثته، بدءًا بتكوينه الأوَّل وانتهاءً بمآله الأخير، سواء من حيث هو ظاهرة واحدة أم من حيث هو مظاهر تتعاقب عبر الزمان. من جهة أخرى يبدو لنا الفارق بين سلسلة ترتيب المصحف وسلسلة ترتيب النزول، كائن في أنَّ ترتيب المصحف يتحرَّك باستقامة وباتجاه واحد، أمَّا التسلسل الثاني فترتيب سلسلة الموجود فيه ترتيب دائريّ، وهذا يجعل من كلّ ظهور من مظاهر الإبانة عن خلق الأرض المتسلسلة عبر القرآن، بدءًا بسورة الشمس وانتهاء بسورة البقرة متوقّفًا على غيره، بحيث يكون الحدّ الأخير في ضمن سلسلة الإبانة معلولًا لما قبله، وعلّة للحدِّ الأوَّل نفسه، وهذا شبيه بترتيب وظائف الكائن الحي، فإنَّ كلَّ واحدة منها علَّة ومعلول في الوقت نفسه.

---

٨ صليبا، جميل. المعجم الفلسفي (بيروت – لبنان: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢)، ج١/ ٦٦٩.

٩ أمير، عباس. من القرآن إلى القرآنية: محاولة في التحليل المفاهيمي والمصطلحي وتحليل النصّ، ط١ (لبنان – بيروت: دار نلسن، ٢٠٢٣)، ١٢٨.

١٠ أمير، ١٢٨.

بتعبير آخر، تبدو العلاقة بين التسلسلين علاقة بين العامّ والخاصّ، فتسلسل المصحف عام يندرج تحت مفهوم التأليف، على حين أنَّ تسلسل النزول خاصّ يندرج تحت مفهوم الترتيب، "والترتيب جمع الأشياء الكثيرة في نظام واحد، يكون لبعضها فيه نسبة إلى بعض، بالتقديم والتأخير. والترتيب أخصّ من التأليف، لأنَّ العقل لا يشترط في التأليف أن يكون بين الأشياء نسبة بالتقديم والتأخير، بل يكتفي فيه بأن تُجعل الأشياء الكثيرة بحيث يُطلق عليها اسم الواحد"[١١]. ثُمَّ إنَّ الترتيب في اصطلاح البلاغة هو "أن يورد أوصاف الموصوف بها على ترتيبها في الخلقة الطبيعيَّة، ولا يُدخِل فيها وصفًا زائدًا"[١٢]. ومثاله عند أهل البديع قوله تعالى؛ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(غافر٦٧). وعلى هذا الأساس يصير التسلسل المشتمل على تقديم ما حقّه التأخير-وفاقًا للمصطلح البلاغيّ- تسلسلًا ترتيبيًا، أمَّا إذا تأخَّر ذلك المتقدِّم حيث موقعه الذي له أصالةً، فالتسلسل تسلسلُ تأليفٍ. وقد ورد في ذلك قولهم؛ "وأَلَّفْتُ بينهم تأْلِيفاً إذا جَمَعْتَ بينهم بعد تَفَرُّقٍ وأَلَّفْتُ الشيء تأْلِيفاً إذا وصلْت بعضه ببعض ومنه تأْلِيفُ الكتب"[١٣]. فالتأليف، جمع أشياء متناسبة من طريق "إيقاع الألف بين شيئين أو أكثر"[١٤]. أمَّا الترتيب فيقضي بأن تتوالى صفات الموصوف تباعًا، ولكن على وفق ما عليه في أصل الخلقة. وهذا ما يقودنا إلى استلال بلاغة القرآن في الإبانة عن خلق الأرض من سلالتين أو تسلسلين، تسلسل تأليفي وآخر ترتيبي. أمَّا التسلسل التأليفيّ فيبين عن علاقة الأرض بغيرها من الموجودات القرآنيَّة، فهي جزء من مشهد قرآنيّ تشتمل عليه السورة. وهذا ما لا يعيننا على تبيّن تاريخ الأرض الجيولوجيّ، وإن أبان لنا عن كشف العلاقة الكائنة بينها وبين غيرها ممَّا يساوقها من موجودات قرآنيَّة، وذلك لأنَّ هذا الترتيب عندنا، "يمثِّل بنية النصّ المتأخِّرة عن صفة ترتيبه التنزيليّ معرفيًّا ووجوديًّا"[١٥]، ثُمَّ إنَّه

١١ صليبا، المعجم الفلسفي، ج١/ ٢٦٧.
١٢ التهانوي، محمد علي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة. رفيق العجم و علي دحروج، ط١ (بيروت – لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦)، ج١/ ٤١٤.
١٣ ابن منظور، لسان العرب، د.ط. (دار صادر، د.ت.)، مادة(ألف).
١٤ التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ ٣٧٦.
١٥ امير، عباس. المعنى القرآني بين التفسير والتأويل- دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، ط١ (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٨)، ٢٣٣.

لا يكشف عن بلاغة العلاقة التاريخيَّة الكائنة بين الصفة والأخرى من صفات الموجود الواحد بل يكشف عن علاقة الموجود بغيره، وغايته بلحاظ هذه المؤالفة البليغة، "أن يجمع بين المعاني المختلفة حتَّى يبرزها في صورة مؤتلفة وحتَّى يجعل من اختلافها نفسه قواماً لائتلافها، وبناء على بلاغة التأليف بين المختلفات يعمد القرآن، إلى الأضداد يجاور بينها ويعمد مرّة أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفُسها من غير تضادّ فيجعلها متساوقة"[١٦].

وأمَّا التسلسل الترتيبيّ فهو الذي يعنينا بلحاظ كون الترتيب بلاغيًّا معنيًّا بتتبع أوصاف الموصوف وفاقًا لترتيبها في الخلقة الطبيعية. وليست عنايتنا بتتبع خلق الأرض وفاقًا لترتيب النزول محض ترف علميّ بل هو ضرورة علميَّة تتقصّى ذلك التسلسل المنطقيّ الذي يُباطن تسلسل السور وفاقًا لترتيب النزول، وسيتّضح لنا، "أنَّه، مع أنَّ القرآن نزل منجّمًا وخلال أزيد من عشرين سنة، فإنَّ تسلسل سوره –بحسب ترتيب النزول– يباطنه تسلسل منطقيّ "[١٧]. وهو ما سنتبينه بعد قليل.

المحور الثالث؛ تبيان خلق الأرض وتاريخها الجيولوجيّ؛ انعكاس وتداخل أم تباين وتخارج

للآيات التي تتحدَّث عن أصل نشأة الأرض وشكلها وحركاتها، بناء على ما سبق، تسلسلان وترتيبان، لكلٍّ منهما بلاغته، ولكلٍّ من البلاغتين شأنها في الإبانة عن جدّة الحقائق المستندة إلى المعرفة اللُّغويَّة القرآنيَّة. وبناءً على هذين التسلسلين، تبدو الإبانة عن خلق الأرض خاضعة لاعتبارات موضعيَّة مكانيَّة ضابطتها موضوعيَّة تتعلَّق بترتيب المصحف، وأخرى زمانيَّة ضابطتها تاريخيَّة تطوّريَّة تتعلَّق بترتيب نزول السور، وأنَّ بلاغة الأرض، بلحاظ ترتيب النزول، تشير إلى استجابة تلك الإبانة لنواميس التبدّل والتطوّر التي تعني، ممَّا تعني، تعاقب الأحوال والصفات على الأرض، وهي تتحرَّك من بدء الخلق الأوَّل حتَّى منتهاه الذي يجعل من الأرض مهيّأة لاستقبال الخليفة السماويّ، في ضمن سلسلة من الحلقات المتَّصلة بعضها ببعض.

ولعلَّ وقفة أولى على أوَّل الظهور الذي يبيّن عنه كلّ تسلسل من التسلسلين تكشف لنا عن معطى معرفيّ ابتدائيّ لا يمكننا غضَّ الطرف عنه، فأوَّل الشيء "ابتداء ظاهرته الذي يُشْتَق منه غيره

١٦ درّاز، محمد عبد الله. النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، ط٢ (الكويت: دار القلم، ١٩٧٠)، ٢١٥.
١٧ الجابري، محمد عابد. فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول (القسم الأول)، ط٢ (بيروت – لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩)، ١٧.

ويُفسَّر به"[١٨]. والجملة الأولى التي تشتمل على الموجود المُراد بيانه في النصّ مفتاح فهْم وصفة أولى لابدَّ من اعتبارها معرفيًّا، " ذلك أنَّ كلَّ جملة، تُفهم بناءً على معطيات الجملة التي قبلها، وحركة النصّ، حركة تراكميَّة خطِّيَّة؛ لذا كانت الجملة الأولى، هي الأوفر حظًّا في التأثير"[١٩].

وبلحاظ أوَّل الإبانة عن خلق الأرض، وفاقًا لترتيب المصحف، نقف على الآية الثانية والعشرين من سورة البقرة، حيث تقول؛ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وهذا يعني أنَّ عين الآية ليست ناظرة إلى الأرض بعدّها موجودًا تاريخيًّا بل ناظرة إلى تصييرها بعد إيجادها. فهي موجودة ثُمَّ تلا وجودها تصيير جعلها (فراشًا). وتصريف الفعل (جعل) هنا يأخذ برقابنا عنوةً ليؤكِّد لنا هذا المعنى. ووجهه في هذه الآية، على وفق الراغب، "تصيير الشيء على حالة دون حالة"[٢٠]، أي تصيير الأرض (فراشًا) ولم تكن كذلك من قبل. وعلاوة على ذلك ثَمَّ تعبير (فراشًا) الذي يبيّن عن تحقّق الاستقرار المريح على الأرض، فجعلها فراشًا، " ذلّلها ولم يجْعلْها ناتئةً لا يمكن الاستقرار عليها"[٢١]. والجلّي الواضح، هاهنا، أنَّ الفرش وفاقًا للتسلسل المنطقيّ المنسجم مع التسلسل الجيولوجيّ حالة أخيرة من حالات الأرض، بلحاظ قولهم؛ "فَرَشَ الشيء يفْرِشُه ويَفْرُشُه فَرْشاً وفَرَشَه فانْفَرَش وافْتَرَشَه بسَطَه (...) وافترش تحته تراباً أو ثوباً (...)وتَفْرِيشُ الدار تَبْلِيطُها"[٢٢].

أوّلية (الفرش) هذه، إذًا، ليست أوّليَّة تاريخيَّة. فالأرض قبل أن تكتسب صفة الاستقرار عليها، كانت غير ذلك، وهي قبل أن تُفْرَشَ غيرها بعد فرشها، وما فرشها إلّا متأخر جرى في الحقبة الأخيرة من حِقَبِ نشأتها، وذلك بعد أن "بردت الأرض وتكاثفت أبخرة الماء على هيئة أمطار ثُمَّ سقطت على سطحها. وفيما بعد ذلك برزت الأرض على هيئة جزر بركانيَّة متباعدة ثُمَّ تقاربت بفعل عوامل الحت والتعرية، واستمرَّت بعد ذلك عمليَّات البركنة،

١٨ امير، المعنى القرآني بين التفسير والتأويل- دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، ١٩٧.
١٩ أبوخرمة، عمر محمد. نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى (إربد_ الاردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤)، ٩٣.
٢٠ الأصفهاني، الراغب. مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق. صفوان عدنان داوودي، ط٤ (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٩)، ١٩٧.
٢١ الأصفهاني، ٦٢٩.
٢٢ ابن منظور، لسان العرب، مادة(فرش).

وتمايزت القشرة الأرضية"[٢٣]. ولعلَّ تكاثف أبخرة الماء على هيئة أمطار في ضمن هذه الحقبة الجيولوجيَّة ما يفسّر لنا بلاغة اقتران قوله تعالى (جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً) في الآية بقوله (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ). وهذا ما يدعونا إلى الرجوع خطوة إلى الخلف وعطف البصر حيث أوّليَّة أخرى، لعلَّنا نمتلك رؤية أكثر سعة، ولعلَّ تلك الرؤية تكشف عمّا يحقّق مزيدًا من الانسجام بين الإبانة القرآنيَّة عن أوَّليَّة خلق الأرض والإبانة الجيولوجيَّة.

جاء في الآية السادسة من سورة الشمس قوله تعالى؛ ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾. و (طحو الأرض) هذا هو الظهور الأوَّل الذي للأرض بصفتها وليس بذاتها هي، وذلك على وفق ترتيب النزول[٢٤]. وفي (طحاها) يختلط الأمر على المفسّرين فيرون معنى (طحا) مثل معنى (دحا) في الآية الثلاثين من النازعات؛ ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾. فطحو الأرض ودحوها كلاهما عندهم بمعنى البسط والمدّ. وهذا ما لا ينسجم مع بلاغة التسلسل التي توقّفنا عندها قبل قليل. والرأي عنهم في (وما طحاها) على ثلاثة أوجه ويحتمل رابعًا، وهذه هي؛ "أحدها: معناه بَسطها، قاله سفيان وأبو صالح. الثاني: معناه قسَمها، قاله ابن عباس. الثالث: يعني ما خلق فيها، قاله عطية العوفي، ويكون طحاها بمعنى خلقها (...) ويحتمل رابعاً: أنَّه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز، لأنَّه حياة لما خلق عليها"[٢٥]. ومعنى (بسطها) هو "أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسّرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهريّ: طحوتُه مثل دحوتُه، أي: بسطتُه"[٢٦].

ولكنَّ إطلالة أخرى، وعلى عجالة، على التاريخ الوجوديّ (الجيولوجيّ. إذا جازت المناسبة الاستعاريَّة)، كما هو في المدونة التداوليَّة للغة، تكشف لنا عن جانب آخر من معاني (طحا)، لم يُعِرها المفسّرون اهتمامهم. يقول الزمخشريّ؛ "طحا الله الأرض طحواً. وطحا بك الهوى. وطحا بك همّك: ذهب بك (...) وضربته ضربة طحا منها أي امتدّ. وضربته

٢٣ عطاالله، ميشيل كامل. أساسيات الجيولوجيا، ط٣ (عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ٦٩.

٢٤ تحقيق،آرثر جفري. مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية) (مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنّى ببغداد، ١٩٥٤)؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١/ ٢٤٩؛ الجابري، فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول (القسم الأول)، ١٠٩.

٢٥ الماوردي، النكت والعيون، تحقيق. السيد بن عبد المقصود عبدالرحيم، د.ط. (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.)، ج٦/ ٢٨٣.

٢٦ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق. سامي بن محمد السلامة، ط٢ (الرياض: دار طيبة للنشر، ١٩٩٩)، ج٨/ ٤١١.

فطحوتـه: مددتـه عـلى الأرض. وطحـا بالكـرة: رمـى بهـا. وطحـا الجـارح بالأرنـب: ذهـب بهـا"[٢٧]. والـذي يتّضـح لنـا مـن المعـاني التـي يقـف عليهـا الزمخشريّ، وهـو يعـرض لاسـتعمالاتها الاجتماعيَّـة، أنَّهـا تشـير بمجملهـا إلى معنـى الحركـة. وهـو المعنـى الـذي يشـير إليـه مفسّرٌ معـاصر بقولـه؛ "يـرى بعـض المفسّريـن أنَّ في الآيـة إشـارة عابـرة إلى حركـة الأرض، لأنَّ مـن معـاني "الطحـو" الدفـع الـذي يمكـن أن يكـون إشـارة إلى حركـة الأرض الانتقاليَّـة حـول الشـمس، أو إلى حركتهـا الوضعيَّـة حـول نفسـها، أو إلى الحركتـين معًـا"[٢٨].

إنَّ الحاضنة اللُّغويَّة، (وطحا بالكرة: رمى بها) التي يستند إليها فهْمُنا لبلاغة (طحو الأرض) أصل معرفيّ لابدَّ من الإفادة منه، هاهنا، باعتباره أصلًا منهجيًّا يمتلك منطقه الذاتي القادر على توجيه مسارات الفهم، والضابط لحركة المعنى. والذي لنا البناء عليه هو أنَّ (طحو الأرض) يلوّح بمعاني ذات بعد جيولوجيّ، ألا وهي؛ الشكل الكرويّ والحركة الشديدة وامتداد الحركة وانفصال شيء من شيء بأثر من قوّة فاعلة. وهذا ما ينسجم علميًّا مع الحقيقة الجيولوجيَّة التي تتحدّث عن الحقبة الأولى لنشأة الأرض، فتقول؛ "انفصلت الأرض على هيئة حلقة من السديم، وتجمّعت فيها دقائق الغبار والغازات مكونة كتلة صلبة، ولا يوجد حولها غلاف جوي"[٢٩]، وأنَّ انفصالها ذاك جرى على نحو القذف بعيدًا، ويعني أنَّها انفصلت، أنَّها قُذِفَت من الشمس بتأثير من القوّة النابذة[٣٠]. ثُمَّ إنَّها بعد انقضاء أطوار نشأتها الأولى، امتازت صفتها الطوبوغرافيَّة، فشكلها "يشبه (...) مجسّمًا كرويًّا غير مكتمل تقريبًا، وهي مفلطحة عند القطبين"[٣١].

ومـن هنـا، يتّضـح لنـا، ونحـن نسـتعين بمقتضيـات التسلسـل الترتيبـيّ أنَّ (طحـو الأرض)، رتبـة أولى لابـدَّ مـن ردّ مـا يعقبهـا إليهـا، وأنَّ لأوليَّـة هـذه الرتبـة تحـوّلات وأطـوار تتسلسـل عـبر الزمـان الجيولوجـيّ مـرَّة، وعـبر الزمـان النصِّيّ القـرآنيّ مـرَّة أخـرى. وأنَّ العلاقـة الكائنـة بـين صفة البلاغـة في القـرآن وصفتهـا في الكـون علاقـة تداخـل وانعـكاس، وليسـت علاقـة تخـارج وتبايـن.

٢٧ الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق. محمد باسل عيون السود، ط١ (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ج٥/ ٥٩٧.
٢٨ شيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١ (بيروت – لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٣)، مج١٥/ ٢٧٥.
٢٩ عطاالله، أساسيات الجيولوجيا، ٦٩.
٣٠ موريه، ليون. الوجيز في الجيولوجيا، ترجمة. يوسف خوري و عبد الرحمن حميدة، ط١ (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،، ١٩٨٧)، ٢٠.
٣١ عطاالله، أساسيات الجيولوجيا، ٧٠.

خلاصة البحث ونتائجه

- البلاغة علاقة إبستمولوجيَّة كائنة بين حسن التعبير وحسن التقدير، وجنبة حسْن التعبير من جنبتيها مشروطة بردّها ردًّا تأويليًّا إلى جنبة حسن التقدير.
- معيار البلاغة اللغويَّة، ليس ما يظهر على السطح الحسّيّ من محسّنات بل هي حسن التقدير الكائن بين الكلمة والكلمة، وبين الكلمة والمعنى وبين معنى الشيء وعيانيَّة الشيء في الواقع الخارجي. وكذلك الأمر حينما تصير البلاغة سمة الكون والكائنات.
- فهْم السُّنَن التي تضبط العلامات الدالّة على بلاغة القرآن الكريم، وفهْم تلك التي تضبط العلامات الدالّة على بلاغة الكون، لابدَّ أن يغادرا عتبة الفصل بين البلاغتين إلى مثابة التوحيد بينهما.
- العلاقة الكائنة بين صفة البلاغة في القرآن وصفتها في الكون علاقة تداخل وانعكاس وليست علاقة تخارج وتباين. ما يعني أنَّ العلاقة بين تبيان خلق الأرض في القرآن الكريم وحقيقة خلق الأرض كما تبدو للنظر العلميّ هي الأخرى علاقة انعكاس وتداخل وليست علاقة تباين وتخارج.
- تتبع الموجود القرآنيّ زمانيًّا يحقّق لنا فرصة أن نتتبع أطواره وهو يكشف عن جيولوجيّته القرآنيَّة ونموّه العضويّ والبنيويّ وهو يطوّر حدوثه وحداثته، بدءًا بتكوينه الأوَّل وانتهاء بمآله الأخير، سواء من حيث هو ظاهرة واحدة أم من حيث هو مظاهر تتعاقب عبر الزمان. من جهة أخرى يبدو لنا الفارق بين سلسلة ترتيب المصحف وسلسلة ترتيب النزول، كائن في أن ترتيب المصحف يتحرَّك باستقامة وباتجاه واحد، أمّا التسلسل الثاني فترتيب سلسلة الموجود فيه ترتيب دائري، وهذا يجعل من كلّ ظهور من مظاهر الإبانة المتسلسلة عبر القرآن، متوقّفًا على غيره، بحيث يكون الحدّ الأخير في ضمن سلسلة الإبانة معلولًا لما قبله، وعلّة للحد الأوَّل نفسه، بدءًا بالإبانة الأولى التي تشتمل عليها السورة وفاقًا لترتيب النزول وانتهاء بالسورة الأخيرة. وهذا يجعل من كلّ ظهور من مظاهر الإبانة عن خلق الأرض المتسلسلة عبر القرآن، بدءًا بسورة الشمس السابقة نزولًا

وانتهاء بسورة البقرة الأخيرة نزولًا، متوقّفًا، هو الآخر، على غيره من مظاهر الإبانة.

- للآيات التي تتحدَّث عن أصل نشأة الأرض وشكلها وحركاتها، بناء على ما سبق، تسلسلان وترتيبان، لكلٍّ منهما بلاغته، ولكلٍّ من البلاغتين شأنها في الإبانة عن جدّة الحقائق المستندة إلى المعرفة اللغويَّة القرآنيَّة. وبناء على هذين التسلسلين، تبدو الإبانة عن خلق الأرض خاضعة لاعتبارات موضعيَّة مكانيَّة ضابطتها موضوعيَّة تتعلّق بترتيب المصحف، وأخرى زمانيَّة ضابطتها تاريخيَّة تطوّريَّة تتعلّق بترتيب نزول السور، وأنَّ بلاغة الأرض، بلحاظ ترتيب النزول، تشير إلى استجابة تلك الإبانة لنواميس التبدّل والتطوّر التي تعني، ممَّا تعني، تعاقب الأحوال والصفات على الأرض، وهي تتحرّك من بدء الخلق الأوَّل حتَّى منتهاه الذي يجعل من الأرض مهيّأة لاستقبال الخليفة السماوي، في ضمن سلسلة من الحلقات المتّصلة بعضها ببعض.

- (طحو الأرض)، الذي تكشف عنه الآية السادسة من سورة الشمس؛ ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ المتقدِّمة في الرتبة وفاقًا لترتيب النزول، مقارنة بالآية الثانية والعشرين من سورة البقرة؛ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، رتبة أولى بلحاظ بلاغة النصّ وإبانة عن حقبة أولى من بلاغة التسلسل الجيولوجيّ لخلق الأرض. ولابد من ردّ ما يعقبها إليها، بما يعمل على الإبانة البليغة عن تحوّلات صفات الأرض وأطوارها وهي تتسلسل عبر الزمان الجيولوجيّ مرَّة وعبر الزمان النصّيّ القرآنيّ مرَّة أخرى.

المصادر :

القرآن الكريم .

أبوخرمة، عمر محمد. نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى. إربد_ الاردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.

أمير، عباس. حركية الإصلاح من النظام إلى الانتظام: رؤية قرآنية. ط١. بيروت – لبنان: دار المحجة، ٢٠٠٧.

أمير، عباس. من القرآن إلى القرآنية: محاولة في التحليل المفاهيمي والمصطلحي وتحليل النصّ. ط١. لبنان – بيروت: دار نلسن، ٢٠٢٣.

الأصفهاني، الراغب. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط٤. دمشق: دار القلم، ٢٠٠٩.

التهانوي، محمد علي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم و علي دحروج. ط١. بيروت – لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.

الجابري، محمد عابد. فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول (القسم الأول). ط٢. بيروت – لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تصحيح محمد عبده. ط٢. دار المنار، د.ت.

الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

الزمخشري. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. ط١. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.

السكاكي. مفتاح العلوم. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط١. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠.

السيوطي، جلال الدين. أسرار ترتيب القرآن. دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد عطا و مرزوق علي إبراهيم. د.ط. دار الفضيلة للنشر والتوزيع،د.ت.

القيرواني. زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق علي محمد البجاوي. ط١. دار إحياء الكتب العربية– عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٣.

الماوردي. النكت والعيون. تحقيق السيد بن عبد المقصود عبدالرحيم. د.ط. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.

امير، عباس. المعنى القرآني بين التفسير والتأويل– دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني. ط١. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٨.

جفري، آرثر، تحقيق. مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية). مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنّى ببغداد، ١٩٥٤.

درّاز، محمد عبد الله. النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن. ط٢. الكويت: دار القلم، ١٩٧٠.

سيدأحمد، مخلوف. اللغة والمعنى: مقاربات في فلسفة اللغة. ط١. الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١٠.

شيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ط١. بيروت – لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٣.

صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. بيروت – لبنان: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.

عطاالله، ميشيل كامل. أساسيات الجيولوجيا. ط٣. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.

ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد السلامة. ط٢. الرياض: دار طيبة للنشر، ١٩٩٩.

ابن منظور. لسان العرب. د.ط. دار صادر، د.ت.

موريه، ليون. الوجيز في الجيولوجيا. ترجمة يوسف خوري و عبد الرحمن حميدة. ط١. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،، ١٩٨٧.